شرفات

شعر

فـواز قـادري

شرفات
المؤلف : فــواز قــادري

لوحة الغلاف للفنان :
محمد القادري
تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولي : يناير 2018
رقم الإيداع : 28665 / 2017
الترقيم الدولي : 978-977-769-213-7

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف– الدور
الخامس – مكتب 57
م : 01010490247
ت : 23963002(02)

إلى:
مراهقات لا يجدن أحلاماً زهرية
على
الوسائد
صبايا بعد فوات الحب
أرامل في أسرة باردة
أمهات
في المنافي ونشفان الدمع
نساء
يحلمن بصدر عاشق وسقف
وخبز.

النواطير سرقوا العنب
الثعالب تطالب بحصتها من الكروم
الشاعر يرفع راية النبيذ على معصرة الدم.

عطش يكذّب الأنهار

عطش يكذِّب الأنهار والمطر ولا يخجل
يسرق حصص الأشجار والنبات
يفتح يديه ويتبرّم من المطر:
لم أنل نصيبي من الهطول والجريان يقول
جند الطاغية يسرقون البركة وأرواح الناس
ويكسرون أقدام السواقي وينشّفون إكسير
الجذور
هذا ذنب العطش الجبار يقولون:
يسرق الندى عن الأعشاب
وذنب أمطار تترفّع ولا تهطل

وذنب أرض لا تخرج العيون من باطنها
وذنب ينابيع تتوقف كسلاً ولا تسيل.

**

عطش أبديّ يا بنت
هل يستحي المطر؟
يتفرج على يباسي ولا يفعل شيئاً
أنا وريثك أيام البساطة والخير
أحمّل صحاريك الذنب وخطيئة الجفاف
وأحمّل العجاج هجومه على زلال الينابيع
هل تتفرّجين على عنائي وحرقة قلبي؟
أليس لك غيمة في الجوار؟
دعيها تمر بجانبي وتلقي السلام
أو تشير بهطول خفيف من بعيد

أو تزيّنني بحملها الذي يهمي عليَّ
أنا ملقى هناك بآخر تخومي
عند بلاد تحترق
قلبي ساقية يجري فيها الفرات
وجسدي وعل جبليّ
يستقبل الطعنات على أشكالها
من القامشلي النبيّة في عروق الشمال
حتى سهول الخير في حوران.

***

أقوالي «على قارعة الطريق»
لا تعيريها اهتماماً مثل أي حجر لا يعي
ودم بلادي أيضاً على القارعة
دوّري فيه عن جمر المعاني

ذاك الذي يشعل الأحاسيس وينبئ بالمطر.

**

عطش أنا

أمطر وأفيض بالحب

رغم أنني بعيد عن بلادي

أريد أن أقول لأي عابرة:

صباح الحب

أحتار أين أدير قلبي؟

أينما التفتُّ

ثمة مجزرة سكرانة بدمنا

وورد حزين في حدائق البيوت

ظلال خطوات من هربوا بأرواحهم

بقايا خبز يابس

وطقم أسنان عجوز مكسور
أينما تدير القصائد عينيها
يسيل دم من الكلمات
وفي الشوارع
تتراكض جروح فاغرة.

***

لا تغلقي غيمك حين يزدحم الشتاء في
قلبي
الفصول خادعة وتبدّل ثياب شهوتها عندما
تريد
الخريف ببنطال الجينز القصير
والربيع يعيّر الصبية بغطاء رأسها
والصيف رقصة الصبابة ودبكة الأعراس

والعطش شيخ يتزيّا «بسروال» وقلنسوة
ويكثر من الصلوات والدعاء
دعي أنهارك تمر قرب جسدي اليابس
والجذور
لا عناقيد في الكروم ولا فاكهة في الدوالي
لا أسرار عند الموتى تحيي بريق الحياة في
الأعين
كثر عسلك وتكاثر على الحواكير غريب
الذباب
لا رسل يقرؤون عليك سورة الفاتحة
خلص عسلك والثعالب مازالت تحاصر
البستان.

***

العطش يعرّي كل شيء
لم أستطع أن أخفي أرواح الناس
قلتُ الأنهار تكفي وقوافل الغيوم
قلتُ الساقية تمرّ بجانب الصبايا
ينظر إلى سيرها ويتجدد الفلاح العجوز
وكنت أعرفه يتربص
يعري الأبدان ويمنح هدايا الموت للأطفال
فلا تبخلي بحليب حلمتيك على شفاه
الصغار
نهداكِ أخضران ولي حصتي من حقول
الجسد
على اتساعي تتسع فصولكِ حين ينهبني
العطش

في جعبة المطر بعض ذكريات عن الجفاف
وفي ذاكرة الحقول حريق تاريخ طوائف لا
يتوقف
فُتور الأقدام ونشاف جلد الوجوه
الشفاه مشقّقة وينكر جريمته العطش
لا يد لي يقول:
لم أقرب شجرة ولم أقطع عنق حقل قمح
بمنجلي
هذا ما حصده جراد العسكر في ليله
الطويل.

جوع أنيق يرتدي أرواحاً من عظام

أيّ وردة تليق بهذا الصباح؟
أنا خازن الغيم ومسيّر الأمطار
أنا مقدر الخير للطير وللناس والسوام
يقول الفرات وفي عين دمعة كاوية
وفي الأخرى
من جاعوا شهوراً
قبل أوان الصيام.

***

أيّ دمعة تليق بهذا النهار؟

الطيور خسرت البيادر وجرّحت الفضاء
الأجنحة مشلولة والريش طعنات في
الجسد
السماء بلا زرقتها والغيوم بلا مطر
العشاق بلا ورود والأزهار بلا عطر
يداي مسفوحتان كماء السواقي على الغبار
أقرأ سورة أمّي على الحليب والخبز
أقرأ الطحين على ذاكرة الحقول
وأقرأ العجين على ملح أيدي الأمهات
وأسأل الطاغية الدميم
من أين جاء بكل هذا الجوع الخرافي؟
من أي كهف ومن أي المجاعات؟

***

المساء لا يشبه المساء
والقبلة لا تشبه ارتشاف رحيق الشفتين
والجوع يحفر أخاديد الزمن في الروح
لا توجعيني أيتها السكاكين
هذا بقية لحمي الناشف والمقدد
لا تعبريني أيتها الأشباح الغافلة
من خيالكِ أعرف كم أشبهك أنا
هذه عظامي التي تشبه هياكل الموتى
ذراعاي مجدافان مكسوران وظهري
قنطرة
صرختي كهرباء معطلة واستغاثتي
صاعقة
خرساء

الدموع لم يعد لديها آبار في العيون
الشعوب مخدّرة بالخديعة وبجبروت
الحكّام والخوف
والملائكة غافلون عن بريد شكاوى
الطفولة
وعن توصيل رسائل الجوعى إلى الله.
***
لا أعرف كيف أثلم خناجر الجوع
سياطه التي ترسم على الجلد الضامر
جماجم الهالكين في المجاعة
الجوع الفاتك بجيوشه الجرارة
صاحب الأمر على الأرواح والأبدان
الآمر الناهي القادر السفاح

يمسك بتلابيب الهواء حتى الاختناق
لا يشفع الصباح عنده لوردة أو ابتسامة
لا لفرخ طائر أو قطة أو طفل صغير
لأمّ جف الحليب في نهدها والعروق
فحين أقلب صورة الواقع على قحطها
أبكي
وتبكي معي المزن والخراف والعشب
وأوراق الشجر
الجورة والقصور [1].

***

من قال إن الجوع كافر؟
الجوع ليس كافراً

(1) الجورة والقصور: حيّان من أحياء مدينة «دير الزور».

قاتل متنكر بصورة طاغية.

**

أحاول أن أستدل عليه
لا يملك حربة ولاسيفاً ولا طائرات.

***

أيها الموت لا تطل مكوثك بيننا
فرّقتَ الأحباب ومزّقتَ لمّة العائلة
أيها الحزن اكتفينا منك
فائضك لا نعرف لمن نهديه
أيها الجوع كن رحيماً
إرثك قاتل وأكبر من الاحتمال
من أجل سلطانه يقتلنا الطاغية
وباسم الله يذبحنا الكهنوت.

***

الطاغية يأخذ صفات الآلهة

ويرتدي قناع الله الجميل

لا ذنب له بالمجازر

كأنّ الطبيعة من تبالغ بالقتل

كأنّ الكوارث حدث عابر

كأن الحصار رحمة

ونشفان الخبز في العروق قدر أعمى

وجنوده الطيبون لا يقطعون طريق المطر!

**

أحاول أن أستدل على جريمة يرتكبها في النور

الجوع قاتل بريء

لا يملك حربة ولاسيفاً ولا طائرات
يعطل حركة الروح في خفقان العروق
ويقطع الطريق على الخبز والماء فقط.!
لا ذنب لي يقول الجوع
أنا حالة غير مرئية وسهلة التعريف
أنا خشخشة الأعشاب تحت أقدام النيران
أنا جفاف السائل في الشرايين وضمور
الأوردة
أعاتب السحب
تُقول فعلتَّما علي
تكاثفت وانهمرت حين احتاجني الناس
أعاتب البيادر
تقول أنجبت الحنطة والشعير

حفيدي الخبز وورثتي الخراف.

***

أيها الجوع كن رحيماً بنا
من أجل سلطان مسروق من دمنا
يقتلنا الطاغية ويباركه العالم
لا تؤازره ولا تكن سيفاً في يده
كما يفعل قراصنة الحروب
وباسم الله الذي لا نعرف
يذبحنا أهل الكهف اللصوص
قطّاع الأعناق والأنفاس والطرق.

***

أيها الجوع الذي لا يفارق
نموت فرادى وجماعات

لا يرمش للعالم جفن ولا تتسع عين
أعاتب السحب تقول فعلت ما علي
تكاثفتُ وانهمرت حين احتاجني الناس
أعاتب المطر يتركني وفي عينيه دمعة
وفي خطاه ترفل القيود.

***

أطعمت الطير وأشبعت البهائم والحمير
غسلت دمي بالفرات وانسفحت على
الناس
لم يبق شيء ذرفت الغيوم آخر المطر
وأهالت الأشجار على ما تبقى من ثمار
الأجنة
أيها الجوع المؤمن

أنت الصراخ الذي يخرمش حناجر الجياع
أجسادنا تذرف ماءها القدسي
وفمنا مزدحم بالطلقات بالصراخ
والغضب.

***

تردد

لا تتردي مازال باب النشيد مفتوحاً
جوقة من أولاد القصيدة المشاغبين
سيحتفون بك
الألعاب النارية ستملأ الشارع
الرقصات ستحرك حتى الأشياء التي بلا
روح
ثمة خجل يقف بأشباحه بيننا
سأدفع عن قدميكِ ثمن دخولكِ إلى الأغنية
بوردتيكِ ادخلي فردوسها ولا تسألي
ألقي التحية على من يبجلون الحياة

واخلعي أسنان الحكمة من أفواه العجائز
والشيوخ
وتذكري وأنت في رمق النشوة الأخير
أني وأنا مشغول بالموت وبقصائد الرثاء
والرحيل
سأحتفي بك كما يليق بالجمال والخلود.

***

لا أعرف ما تعرفين عن الانتظار
لا أعرف ما يعرف من ذاق لوعة الرحيل
أعرف العالم ببغاء طليق اللسان
أعرف المسافات وهي تضمني إليها بقسوة
حين تبتعدين ولا أستدل لك على طريق
بلا قلب يردد ما يقوله شيطان الحزن عن

عينيكِ
وأنا أردم هاويات الموت الواحدة تلو الأخرى
وأترك عزرائيل الطغاة لا يعرف إليكِ سبيلاً
مضروباً على رأسه وهائماً في البراري.
***
لا ترددي مباركة أنت أيتها البنت المليئة بالخير
نهداك خيران وأنا أرعف تراباً من العطش
برعمت وردتك التي مسحت بعطرها كآبة المساء
مساؤك الذي مسح الدمع وأينع خديكِ

مباركة الكلمات التي تتبارك باسمك
ولا تترك فرصة لي لكي أتوازن وأستقيم
مباركة كل ثمارك ما يبقى الغصون وما يقع
مبارك هسيس شعرك وتتبارك أغنيتي به
مباركة الكلمات التي تتبارك باسمك
من يجهل ومن يتعلم ويتبارك ويتكاثر
بالخير.

***

لا ترددي عانقيني وأطلقي نحل شفتيكِ
على فمي
لا أعرف من أطفأ المصابيح التي أشعلتها
العيون
بعد الكثير من الشجن والدموع

سفح الظلام بركانه الأسود على المدينة
وتناهب الجند جثث الحلم والطفولة
وكنت شاهداً على تغوّل الطائرات
والمجنزرات
أعرف من سرق القمر من شرفة الفقراء
وكتب علانية قدر الموت في دفتر البلاد.

متاهات

في متاهة المسافات البعيدة والحزن
في أي محطة سألتقيك حين تتعافى البلاد؟
بيننا جدار عال من زمن بخيل
هاويات من جغرافية معمّدة بالزلازل
والرصاص
تركة ثقيلة من الشهداء والدموع
يا ابنة الجرح
أنا ابن العاصفة وأنت بنت الريح الرخية
شفتاك صلاة الفصاحة والبلاغة

وأنا أتهجى على عماي
اسم الفرات منهما قبلة قبلة.

***

للمتاهات جيوب كثيرة غائمة
محطات محطات وحقائب بلا عدد
أكياس نايلو ترتجف في الريح والبرد
ملابس تعمدت بكل مياه الأرض
ذكريات قريبة مات سكانها على الطرقات
قلوب مرمية في الزبالة على قفا من يشيل
دموع من كثرتها تستعيد طوفان نوح
أما من وردة أخيرة على مقبرة بلادي؟
يا إله الأعشاب والحقول الذي يجري!
يا فرات الدمعة والقلب!

أما من متاهة ومن منفى أخير؟!

***

أجمّع الأمكنة على بعضها من أجل أن تقتربي

أحمل الجسور على الجسور والقناطر على

ظهر الجبال

أضغط كل فجوة على أختها وأرتق الفجاج

على الفجاج

أمسك يدك وأجس النبض كم تشبهين

قلب حياتي هناك

قبل أن يجمعنا عش حمامتين تتزاوجان

أسمي الأرض بلادي وأغفر توهان الأفلاك

وأنا لا أريد أن أطيل عليك المسافات

هذه الأرض ترافس كلما اقتربتُ من

جسدك
وأنا لي حنطتي فيك وبقولي ولم يسقني غيم
في عيد مائك
كما تفعل الأرض وما يشتهي المسافر
العطشان
لم أنم ورغيفك تحت رأسي في ليل قريب
ولم أصبّح وأنت تعبرين عيني كدمعة خائفة
ولم يطلع عليَّ النهار وأنا ألملم عريك
الفصيح
من حركات وخيالات الستائر.

لكِ شرفة في الكلام

انتظرتكِ ثمة شرفة في الكلام
انتظرتك وكانت الشام تبتهج بحركة
قدميك
وبأثر خطاك على الأرصفة
انتظرتك وكان العيد جلّاد الفقراء
والمحاصرين
الظل ظلك وجسدك يهتز كبندول الساعة
هذا أثر الموت على الأحياء
وأنت بلا موت تعبرين الظلال

تحتفين بولادة طارئة في الشارع أو المشفى
ترقصين كعاشقة في شرفة الكلمات
كقبلة الله على خد دمشق.

***

عانقيني أنا أجمل من الموت
لا تودعيني أنا أقرب من الحياة
أزعل سريعاً ودون تفكير
من عصافير الشرفة التي توقفت عن الغناء
يفر الليل من رأسي إلى الشارع ولا أغفو
حين يشتد علي الهيام
أقفز من شرفة أحلامي العالية
حتى ولو على عكاز
سأرقص مع أغنية شعبية في الشارع

هذه روحي المرهونة من زمن للمقصلة
روحي التي لم تركع لطاغية أو جلاد حقير
روحي التي تربط زنّار الزغاريد على
خصرها
وتنزل إلى الدبكة في الحارة مع الناس
روحي التي بلا حدود ولا زنازين ولا مآتم
روحي الطليقة المسيها بجناحيك وطيري
هذه الأرض لا تتسع جناحيها ولا السماء.

***

انكسر الغصن الذي يقف عليه الطائر
لم تنجُ أجنحته من السقوط
السماء عالية والأرض بعيدة
وكان ينظر طوال الوقت إلى الأعلى

يبحث عن نجمة في النهار.

***

لك شرفة وصوت خطى بعيدة وغناء
ماذا أسمّي اليوم دون عينيك ورنّة صوتك؟
النوارس الفراتية تخيط أواصر المدن بسماء
واحدة
وعيناك تخيط البلاد التي بيننا بخفقة واحدة
وأنا أغبط المسافات التي تترك ذكرياتها
وتتبعك
في الليل لك أثر من التنهدات والغناء
في الصباح لكِ ما تفتتح العصافير نهارها به
وفي الصمت والغيبة أبحث عن رحيق
صوتك العميق

وأثر شفتيك على الزهور في بستان الكلام.

***

أعرف لم يكن العيد كما تشتهين
وسيارات الإسعاف تصبغ الطرقات
بصوتها العالي
مشاف بلا برتقال وفاكهة وموز وسيروم
والرضيع يقفز من السرير إلى الشارع
يحاول أن يأخذ حصته من الحياة
قبل أن تأتي إلى زيارته القذيفة
وأنت تلاحقينه بالقبلات وباقة الورد
من الرحم إلى الطريق.

***

وأنا أنتظر

لا يزعج سهرك مع العائلة
وقاسيون صاحب الغيم بجلاله وهامته
العالية
يتفرج على القتلى والهاربين وأبناء الوجع
ولا يفعل شيئاً كالأسرى
انتظرتك ومعي كيس من القبلات
والقصائد
كل تلويحة وكل وداع
له خنجر في القلب
قلبي مكسور الآن
وحزين أكثر من نصف عمري
وشارة النصر منكسة إلى الأسفل
وأصابع الأولاد مكسورة

وأنت بلا فنجان قهوتك ولا وردة
وحيدة في هذا الصباح.

***

لا أثر لك في أرق الليل
لا أثر لكِ في زقزقة عصافير الصباح
لا أثر لك في الطريق الذي لا ينتهي
أثرك في العينين وفي شرفة الكلام
تشهد علي الحارات التي أرضعتني خبز الكدح والعرق
تشهد غيوم الفرات التي سقتني الكرامة والمطر
لم تستطع الخسائر أن تفرغني من الحب
ولا الدروب المغلقة في وجه الأماني

والأحلام
ها أنا أمشي إليك وروحي تخشخش
بالقصائد والحرية
لا أريد أن أستدل على درب المقابر القديم
في الأعياد
أحمل أرواح الشهداء معي أينما ارتحلتُ
وإمامة النخيل واستسقاء الفصول العقيمة
أينما اتجهت وجدت عرساً للشهداء في
الحدائق
والأغاني تلوي قرون المستحيل العالية
ودمشق ذليلة تخلع كرامتها
وتضع نهديها الجليلين على الطاولة.

صباح صالح للقسمة على غريبين

تعالي نقتسم هذا الصباح
لكِ عصفورة غريدة ولي عصفور أخرس
لك زقزقتان ولي نباح كلب الجارة الشرس
لك أجنحة الطائر والمدى
ولي طلقة الصياد التي لا تخيب
لك تشكيلة الزهور بكاملها
ولي حيطان الشرفة والظلال
لك ابتسامة هذا الطفل الوسيم
ولي الدمعة التي لا تجف في عيون الأرملة

لك ماء الغيمة الفتية ذات الضفائر
ولي عطش البراري وجوع المدن المحاصرة
لك فنجان القهوة والسيجارة الحنونة
ولي نشفان ريق عتيق.

***

تعالي فتشي قلبي قبل أن يذهب الصباح
حديقة حديقة ركناً ركناً وردة وردة
لن تجدي سوى غرغرة الفرات وفوران
الحب
لا تغرك هذه الخدوش وأثر الدم المتدفق
خارج الشريان
قلبي الذي ينتكس كلما رأى دمعة في عين
صغير

أخلط بين الأمكنة وأضيّع الطرقات
والوجوه
بين المدن المهشمة كقطع بسكويت تحت
مدحلة الحديد
وبين ناطحات السماء التي تفتض براءة
زرقة الطيور
بين الأبراج وبين فحيح الأرواح تحت
الأنقاض
بين الليل الشاعري وكحل صبية يسيل مع
الدمع
بين حراس الحدود والبنادق التي لا تتوقف
وجثث الهاربين خارج المذبحة.

***

تعالي نتقاسم الصباح
لك التحايا والورود وقبلات اللقاء
ولي حسرة المحطات الخاوية ودموع الوداع
لك النصب التذكارية والتيجان التي تلمع
لي زنازين معتمة النوافذ بحراسها
وحائط الإعدام الطويل
نصف صباح للأحباب والأصحاب
وعابري السبيل
قسمتي من اليوم الحزين الدامع والخجول
وحصة عينيك البريئتين
نصفه الوردي بطيوره وحدائقه والسلام.

***

نصف الضوء لك ورقصة الشمس على

الأشجار

الظل نصيبي وسقوط العتمة على شارع مهجور

فرحك فرح عاشقة تتناهب جسدها الموسيقى والنبيذ

أفتش زواياه عن الفرح وأذكر عينيكِ

أبحث عن المآتم وأصحب قلبي معي

لا مكان لي في مهرجان الكائنات والفرح

أسبقك حيث تشتدّ سطوة السكين على الأعناق

أرافقك حين تمتلئ يداك بألعاب الطفولة وفاكهة الفرح

تصبغين الصحارى بالأخضر الوسيم

وأنا أتفرج على عراء أحلامي
أنت مزدحمة بفل الحارات وبهجة البساتين
وأنا أراقب سقوط البيوت على أصحابها
وأهجو قلّة هطول المطر في الشتاء.

***

صباح صالح للقسمة على غريمين
حياة بمخالب وعيش بطعم الموت
القبلة التي تحيي هالك الأرواح
وطعنة لا نجاة منها
الفراشة ودوائر اللهب المغرية
الطلقة وجسد يستكمل نزيف الترف
الصياد والفريسة التي تستعيد جأشها
وتقاوم

صباح صالح لكِ فخذيني إليه
صباح صالح للدردشة وشرب الشاي
لك ما يقرأ الماء على طفولة الحقول
ولي جيش من العصافير مدجج بالزقزقة
يبعد الحزن عنك كلما التقينا
ويلقي على عينيك السلام.

ما الذي ينقص هذه القصيدة؟

حالة الكآبة لا تليق بالصباح
ولا بالنهار أو الليل
أستعين بالشعر والأغنيات عليها
أمسح دموع الكلمات
ولا أذهب مع الخيال بعيداً
على مقربة مني تضحك الأشجار
صيفي يداعب المتنزهين في الحديقة
مطر شيء من الشحوب يطل برأسه أحياناً
ويلبس النهار فستان الطبيعة البهيج.

***

ماذا ينقص هذا الليل؟
نجومه كاملة لا تُرى
والغيوم ضباب داكن
الهدوء على حاله والشرفة قلب في العتمة
الأشجار أشباح سود تحرسها ساحرة
شعثاء
بأصابعي أرى وبقدمي أجدف في المطر
الشارع مدينة لا يسكنها أحد
وأنا العابر أجر معي بلادي من أوجاعها
وتتبعني القارات والأنهار والمدن
ومع هذا
ستكتمل بهجة الليل بك

وعيناك تشعّان كقمرين على الكوكب.

***

ما الذي ينقص هذا القصيدة؟
لا أحد يعرف ما ينقص هذا الصباح
أنا متفائل وحزين في آن
حزين على العالم الأعور والحرباء
وعلى كلب الجارة الذي يشارف على الموت
ولست حزيناً على صباح بلادي المقبرة
من أجلها توفيت وشيعني الموتى مراراً
ومراراً خرجت من كفني وقلت العيش أجدى
ورحت أجر بعض الموتى معي
بعطر وردة وأغنية وباقة من النساء

ومتفائل لأن طفولتي لا تسمح لي بغير ذلك.

***

ما الذي ينقص هذه القصيدة؟
ما الذي ينقص هذا الحب؟
تجاوزي ما تعرفين وما قرأت عنه
أعيدي أزهاره للبستان وافتحي مطرك عليه
شاوري نهديك الصغيرين
وفمك حبة الكرز المشطورة
قولي يعرف البستاني الشاطر قدر ثمارك دون كلام
ذاك الحب الغابر لا يجرؤ على الاقتراب منك
ألبسيه وأطعميه وكحلي عينيه وأطلقيه في

المرعى

عاشقك الذاهب شرب خمرك حتى ارتوى

أنت يكفيك أنك ريحانة هذا الزمن المصاب

بالحريق.

****

ما الذي ينقص هذه القصيدة؟

ما الذي ينقص هذا الانتظار؟

انتظرتكِ وكان الليل أرجوحة من أرق

لم تكن هاوية الأحلام بعيدة

كنت أتأرجح بينكما

وكان النوم حارساً من حنين

لم تغفُ لي يد على جيد ولم تلامس خد

ياسمين دمشق

وأصابعي لم تفكك اشتباك الخصل مع
بعضها
بعض النجوم معقودة في ضفيرة واحدة
وأنت بعيدة تشهق أنفاس المسافات
كثيفاً كان ليل شعركِ وقابلاً للصلاة عليه
يخبئ نهديك الأزعرين عن جلال المشهد.
***
أنتِ ما ينقص وأنتِ ما يزيد
تعرف القصيد ذلك
لا أطمئن عليَّ وجسدك على هذا قدر من
البلاغة
طالما أنت في الجوار
جوقة من الشياطين تطوف حولي

الملائكة بعيدة ولا تتدخل بين رغبتين
الهلوسات وإغفاءة البركان ونوم العاصفة
وأنا لا حول لي ولا مكان
أهرب من الدمعة إليكِ
أتبعك لا الظل ظل ولا الغيم غيم والحريق
حريق
أتوارى كي لا يكتشف الحزن مكاني
وهكذا أختصرك وأقول أنت القصيدة
وما ينقص من قلوب الآخرين وما يزيد
لستِ بعيدة كما يتوهّمون
صحيح بيننا آلاف الجسور ومئات الأنهار
وعشرات السماوات
ولكن كلما أصغيتُ إلى قلبي

وجدت صوتكِ ينبض فيه
أشجار شوارعها الجانبية تناديني بأعلى
صوت
غيمات تبكي في رأسي ليل نهار
رائحة الحرائق وأصوات الدوي وصرخات
الناس
وأنا أدير وجهي ناحية الذكريات
أبحث عن صوت العصفور في قلب الطفل
الحالم
وعن هديل الحمام في موسيقى يديه
جسده غصن صغير يرتجف
بعد أن تساقطت أوراقه عن شجرة العائلة
فمن يستطيع أن يدفن الطرقات العالقة

بأقدام الصغير؟
وكيف سينام في الحفرة وحيداً في الظلام؟
**
ما الذي ينقص هذه القصيدة يا طفل
عد أصابع يديكَ
هل صافحتني وهل أخذتني معك
عد يديك وقدميك أولاً
احسب عينيك هل تريانى؟
هذا أنا قامتي قامة الحزن العالية
عد أذنيك وثآليل الهواء
هل تسمع صوتي وبحة غنائي الحزين
عد الشوارع والبيوت
كم ينقصها من الناس؟

احسب السماوات في حالتي الصفاء والكدر
احسب أصدقاءك الكثيرين
ألم يتعبوا من كثرة النوم تحت الحطام؟
أينك أيّ الدرب التي سرقت قدميك؟!
لا تعرف القصيدة دربها إليك
من كثرة الفقد والخسائر والجثث
ولا يعرف الشاعر ما ينقص القصيدة.

لو أني أتنبأ بهذا

لو أني تنبأت بهذا
لا يحتاج الأمر إلى معجزة
كلّ من مر هنا
رأى آثار الدمار القديمة والجديدة
وبقايا رماد حريق أحلامي الكبير
ومرور الديناصورات المعدنية على الجثث.

***

لو أعرف القليل مما سيحدث
لرأيتكِ كما يراك طفل عاشق

ولأني لا أريد اسمك في المرثية
ولا أريد وجهك غائماً كإله
فصيحاً أريده كوردة في الصباح
لقد أتعبتني المحطات ودمع الصغار الحارق
وأتعبتني الحقائب الفارغة وقصائد الحنين.

***

لو أنّي تنبّأت بكل هذا!
لأنزلتُ الفراخ من العش قبل أن يحترق
أو أتممتُ أجنحتها قبل الأوان
وغيرت أسرّة الولادات وقطعت سرّة
النهار
ونصبتُ ذراعيّ أرجوحة على الهاوية
ولكن الغول الهائج كان أسرع مني

أشعل النيران بالغابة
ولوّث بدخان الحرائق زرقة السماء.

***

كان الخوف هو الذي يدور حول البيوت
ويزرع أينما حل بذار الكوابيس في الأحلام
لو أني استجبت للخوف لما استشرت قلبي
لأدخلت كل الصغار إليه وأغلقت الباب
أو على الأقل علمتهم كيف يستكملون
لعبة الحياة
قبل أن يأتي الموت إلى الملعب
أمليت على الكائنات دروس الفرح والأمل
ومرنت الأشجار على التحليق مع الطيور
حين يعم الحريق.

***

لو أحد قال لي

سيحدث ما تخاف منه!

وسيتناثر الكثير مما تخاف عليه

لهطلتُ كغيمة على زهور البيوت المهجورة

ودققتُ المسامير في الحيطان جيداً

من أجل أن لا تسقط صور العائلة

تلك الانفجارات التي ستهزّ البلاد

لو أني عثرت على زهرتك باكراً

ما أرهقتُ عطرك بالوجع والرماد

ولأرشدت طريق الفرات إليك

ولما تركت يديكِ تنامان على خلاء بقيودها

صدرك ملاذ المساكين والخائفين

لا يعرفك الجاهلون والذين بلا قلوب
أريد أن أستوقف قلبي التائه عنك رغم
الخراب
وأدلّه على طريق ديارك من جديد.

رائحة الشجرة تتحول إلى كتاب

إلى: محمد سالم

القصة تحتاج حقّاً إلى كتاب
لو ظل العاشق على صفائه الباذخ
لو نثر على الذكريات بعضا من النسيان
رائحة الشجرة ستتحول إلى كتاب من
تلقاء عشقها
ستكتب الشرفة مذكراتها بأثر الورد
بمشيئة الموت وبسطوة سفاح صغير

يتجول الفأس في الشارع على راحته
ترقص الطلقات مع أجساد الأولاد.

***

القصة تحتاج إلى كتابكِ
دونكِ لا يصلح هذا اليوم للحب
وأنا أفكر بكِ
ابتسمت للمرأة التي مرت بجانبي
صدقيني الشاعر حزين فلا تتركيه وحيدا
تلك البنت أخلفت ميعادها بسبب الموت
ميونيخ تبلل سروالها من شدة الخوف
ولا تصلح وردة متناثرة أوراقها على
الرصيف
للبنت الحزينة على صديقها

أمشي كأن ريحا تدفعني أمامها
أقف كأن طلقة قطفتني من الشارع.

***

لو أصابت طعنة قلب الجذور
ستتحول رائحة الأشجار إلى كتاب
لا يموت الشجر في الحريق ولا على المقصلة
والشاعر لا يعرف كيف يوزع المراثي ولا المديح؟
الشاعر لا يقدر أن يتخلى عن شؤون الناس الصغيرة
الشاعر يفرح حين تبسم امرأة بلا سبب
ويرقص جرو صغير في منتصف الطريق.

***

وأنت بعيدة في الحيرى
أتابعك وأنت تعودين
وأنت تأخذين مكان نجمة تفرش ليلي
بالضياء
أراقبك وأنت تبتعدين
وردتك التي في يدي لم تذبل
وردتك في القصيدة مازالت تنتظر
يتابع عطرك الشاعر ولا يلحق
أين تذهبين به في الغياب يا بنت؟
تتابعك القصيدة فتضيع على الطريق
الأشجار طويلة البال ولا تتذمر
حين يشب حريق في الغابة
يحترق قلب الشاعر

حين تنطفئ الغيمة ويموت ماؤها
حين تنزف الطيور وتمتلئ يداه بالمراثي
أي المحطات ستحتضن وردة رحلتك
الأخيرة؟

***

سيروي كتاب الشجرة ما جرى قبل وبعد
الحريق
فماذا تفعلين الآن بكل مساءات دمشق
وحدك؟
تكاثر عليّ الليل ولم أجد له سبيلاً
لا أعرف كيف أنفقه على السكارى
والذكريات
على الأرصفة والمشردين والأيتام

بقيت معه وحيداً أشيل أحمالاً من العتمة
احترقت أشجاري التي ربيتها على الحب
وداخ طريقي وزعل مني بردى والفرات
كم سألتكِ عن حصة من الصباح!
لعلِّي أجد في حضنك مكاناً لرأسي
ولعلي أتكئ على زمن يشبهك بصباحاته
هل تتذكرين قصائدي القديمة بصداع
قلبها؟
ماذا تقول لك عني لو تماديت في الغياب؟
هل لديك شاي يكفي للسهر حتى الصباح؟

***

لا تنتهي سيرة حرائق الغابات يا «محمد»
تنسج قلوبنا الأوراق بيضاء من عطرها

شفافة مثل قلوب الصبايا العاشقات
حرائق في الجذور لا ترى وفي الحليب
الآدمي
يعرفها التراب الرمادي والأنساغ التي
تتضوّر
رمل في أعين السماوات المجاورة
حريق في قلب شاعر يبحث عن أغنيات
كثيرة لا تندثر
أشجار لا فم لديها ولا عيون ولا لسان
حريق في هشيم الكلام
في الدفاتر المدرسية وأقلام وأصابع الصغار
حرائق في أجنحة الحب وبطعم القبلة
حريق في سجادة صلاة أمي الطاهرة

الأشجار غبار طلع المعنى
تنقله الطيور النورانية إلى ذاكرة الناس
وتفتح شرفاته للكائنات والجماد
على فصل العبادة وصلوات الحب.

حارسة الليل

أنتِ في الجوار
معرفتي بذلك ليست فراسة
من الفراشات التي تجمّعت حول الكيبورد
والعصافير التي أشبعت أصابعي نقراً
وزقزقة
وأنا أحاول كتابة هذه القصيدة عنكِ.

***

ما الذي يحيط بي ويعصر الوقت؟
ما الذي يجمع زهور وأشواك غيابها في سلة

واحدة؟
أثر طعنة مفاجئة في الذكريات؟
أم رنين قبل غريبين يلتقيان؟
أصوت خطاها من بعيد البعيد؟
أهو احتكاك شعرها بنسمة ساخنة في مساء
لاهب؟
أو يكون هذا ضجيج عطرها في المسام؟
أو احتكاك نهديها بالحرير؟
أثرها مازال في الجوار
حارسة الليل
حين جاء دوري لأصحبها إلى ملكوت
الأنثى
سحبت ستائر العتمة

وأغلقت المشهد عليَّ.

***

في النهار أبحث عن حارسة الليل
في الظهير والمساء أبحث وفي الليل
أثرها على الشارع الذي مشيتُه وحيداً
وهي تقرع الرأس بمطارق غيابها
لا أجد عينيها السوداوين ولا النهار الذي
يدلني عليها
كلماتها من ملح وسكر ذابت سريعاً في
الحياد
أهيلي سواد عينيك على القصيدة قلتُ
أنت بعيدة وتراك الرغبة كما أشتهي
طرق قصيدة مفتوحة لك على سماواتها

اسلكي دروبها الجانبية واصعدي عسير الهضاب
وانزلي حيث تتحركين على هواك
وأقول لا تطفئيني
وأنا ذاهب إلى مائها بكل اشتعالي.

ألواح غير مسمارية

في الفجر الكسيح السلحفاتي الأعرج
ألملم أسئلة الحلم الذي يتربص بالخسائر
الوقت من حجر ثقيل وهواجس
في الصباح تتحرك الغيوم ببطء
تترك فجوة بين الضوء والعتمة
أتلاطم مثل أي بحر يستسلم للعاصفة
النوارس خائفة تأخذ ظلال أجنحتها
وتهرب

ثمة قراصنة في الجزر والمضائق
ثمة قراصنة خلف كل قطرة ماء
قراصنة في الكلام والحكايات وقصص
الحب
قراصنة يتصيّدون أرانب الشعوب النائمة
في رأسي ظلام سافر وأفكار واشية
في رأسي ثروة وكنوز ثمينة من الأرق.
***
لا تقرأيني أنا لغم ناطق قد ينفجر
ستصابين بعدوى الحزن والرحيل والغربة
ستحتارين ماذا ستفعلين بحشود البجع
التي بلا وطن
بالنحل الذي يطن طوال الوقت حول

رأسي
ولا يأتي بجرار فيها قطرة عسل واحدة
بالبطاريق القطبية الكسولة
تكسر بيضة الجليد من كثرة الانتظار
وحين تشتدّ القشعريرة عليها
تبحث عنك دافئة في صدري ولا تجدك
بعيد الرغبات المجنونة وشهوة مصّ
الأصابع
عن العصافير التي غادرت دون إرثها من
الغناء
عن أقدام ذاك الصغير الخجول
تلك التي نسيتها الأيام تركض في حارات
الدير..

عن شهواته المنثورة على وجه الصباح
للعصافير
عصافير تبحث عن بصمات فمي على
حلمتيك
بلا جدوى.
***
بعد كل هذا الحنين
ما اسمكِ تسألني العرافة وهي تلعب بخرز
الحظ
وتقلّب مصائر العشاق بودعها المغشوش
على النار
بالصحارى وهي تجرجر خلفها قروناً من
العطش

وتشوي بيوت الطين التي تسكنني بأعمدتها
المنخورة والقش
بسلاحفي الأثيرة لا تترك سباقاً في ثورات
الشعوب
لا تشترك فيه وهي غارقة في النوم.
***
لاتقرأيني على وجه واحد
هذه النقوش أثر القبل العنيفة على صخوري
لها أثر على الماء أيضاً
تؤثّر على الجَزْر والمد وتؤثر على المناخ
على جدران كهوفي رسوم وزرقة سرية
بطعم السماء
حين يكتشفها أحد سيعرفك وأنت بعري

الأنهار
وأنت تجرين عذوبتك وتفرشين نكهتك
على كل شيء
لا تسرد القصائد ما تعرف عنك غير رغبتك
بالحب
فلا تستعجلي نصيبك من هذا الموسم
الخاسر
انتظرى حين تقوم الفصول بثورتها
ستمنحك من قرنفلها الأثير
أكثر من حصتك التي تستحقين
وستكتب اسمك في فردوسها الخاص.

***

لا تفكري كثيراً

القيامة ليست على الأبواب
كل ما في الأمر
أخذتُ جرعة زائدة من القلق
خسارة أن تبددي كل هذا الجمال
من أجل حالة طائشة تفترس من تعتريه
لك الأرض أذرعها بكل اتجاه
أنت الحرية التي ستدخل التاريخ على
قدميها
أفردي شعرك ودعيه يتطاير حرّاً
الأجيال ستقرؤك كتحفة من زمن غابر
اعملي زيارة للمشمش إذا أردت في البستان
وكحلي حلمتيك بطعمه واقضميه بأطراف
شفتيك

وأطعميني منه قبل أن يتبخر الشراب
واسقيني من حلمتيك حليب الكبر.
***
بعد كذا سنة ضوئية
سيعثر عليك شاعر مشرد وتكونين له
مأوى
ستكونين كنزه ومعبد قلبه
بيته أنت ونبضه وماء عينيه
منقوشة بأنفاس الفراشات على لحاء الشجر
كتبك المطر ذات هطول عاشق
على ذرات التراب قبل أن تتحول إلى طين
على حجر مطمور تحت طبقات الأرض
ويشعّ

ستؤثرين عليه ويفقد آخر ما تبقى من نومه
سيختل توازنه وسيتمتم بخشوع
عندما يتحدث عنك للصباح.

***

ألواح من لحم ودم ومن شغاف القلب
تكتب عليها الحياة قصائد الحب ولعنة
الحروب
مكانك فيها والبلاد ترمم فصولها العجاف
مكانك والبلاد تخرج من جحيم لا تحتمله
الأبالسة
مكانك حيث تقلب الأرض تربتها وتنثر ما
تحب من بذور
لا أخاف على يديك من الذبول

على عينيك من انحراف زوايا الرؤية
على المدى من ظلام بصيرة لا ترى
على الذكريات من كثرة الجراح ونواقيس
الألم
أنت الخسارة حين تحتاجك الحياة ولا تجدك
أنت انهيار يقين الأشياء بنفسها
حين تأكل الثورة أولاد قلبها
أنت ثقة الفصول بالمطر مهما تأخر بالهطول.

***

لم أدوّن كل شيء عنك بعد
لم تقل رأيها الحدائق والطيور
الحارات التي تركت ظلالك فيها
عطرك الكافر الذي لا يغفر ولا يسامح

مرورك صدفة في شارع مهجور سيرة
حركة يديك عندما تتكلمين أو تشيرين
سيرة
تتسع الألواح لسيرة الشعوب وتغصّ بك
وتتلعثم
ليس من السهل عليها رسم حدود نهديك
دون أن تزلزل اللغة وتشب الحرائق
ليس من السهل أن تحلل دم القصائد
لتشكل المعاني التي لم تألفها من قبل
بلادي لا تسمح بالمزيد عن جرائر ترتكبينها
وعن حماقات تسرقينها من أحلام العشاق
وأنا لا أملك بكل حزني وقتاً شعريّاً
لكي أدوِّن عنك كل شيء.

***

لا يطمئن الزمن حين يغفل عنك ساعة
رغم أنه يعرف مكانتك الجليلة في الأحقاب
ستدونك الألواح من تلقاء عشقها
في النجيمات أرق ساهر ويشير إلى شرفتكِ
التي لا تعتم
لا ترين عينيه تتابعك أينما كنت
لا يطال غيابك غياب جسدك الشهي كخبز
الأرياف
اقرئي مكانتك في أقواس القزح الطارئة
ما كتبته عنك الحساسين بأجنحتها وهي
تراقص الهواء
الدوائر القزحية التي فاجأت حتى المطر

الغيم الخجول صاحب الأفياء على
البحيرات
الشمس تقلي بيضة الرخ المستحيلة المعتمة
وتشتد حتى تكسر هيبة الخرافة.

***

هكذا بضربة ظلام خاطف
أفرغ اللصوص ألواح الحياة منك
وبقيتُ مشدوها والأيام تغير جلدها
كمومس تتوب عن الهوى وتذوب في
الغرام
كصوفي يترنح في معبد روحه وحيداً
وأنا أهلل بالنور وهو يغمر كل شيء
حتى لا تمسح العتمة دمك عن الخناجر

هكذا بضربة فرح واحدة
ستستقيم حسابات الحلم مع الخسائر
وتمتلئ الشعوب بأمطارها وخيراتها
وأنت ستنيرين المغائر العميقة في النفوس
وستستعيد الألواح ألوانها الوردية
سيعزف البرق مهرجان أمطار لم ترها
الأرض
ولم تتذكرها ذاكرة السيول
وحين تسألني عنك الموسيقى
أقول ها هي تذوب من الوجد والشوق
تعرف ذلك المرتفعات وسماء تلون البحر
بزرقتها
وهي تدون ثانية ما نسيته من ربيعها

المنهوب.

***

ستون جمرة في لوح واحد أخير
ستون طعنة كم سيحتمل قلب الشاعر!.
لا يعرفه إلّا من يعرفه
من داخ معه وتأرجح مشنوقاً حتى آخر الأنفاس
كم سيحمل من أوزار وذنوب لا تسعها الألواح!
لولا أنت لما بقي عمل للغيم
ولصارت جهنم حاكمة على الكون
لولا أجنحتك لم ينفتح على سعته الفضاء
لم يفتح باب على السماوات

لو سكت غناؤك لصارت الدنيا هشيماً
ورماداً
لولا بساتين صدرك ما امتلأت الحدائق
بالزهور
لولا سيرتك أين يخفي التاريخ سحنته
المخجلة؟
ومن سيطعم الطير أوان الجوع؟
ومن سينتشل الصغار من المجازر
والبحور؟
ومن سيلقم حجراً صلداً في فم الموت
الأدرد؟
كل شرفة سيرة وحكاية
كل سهر لا يصبغ الليل بالنجوم وضحكة

القمر
خاسر ولا يعتمده العشاق ولا الحالمون
ستمتلئ سيرتك بالغابات والطيور عن
آخرها
من سيختم نشيدك بموسيقى البلاد
وبالملاحم
من سيأتي بالغيب ويجعله مرآتك ولوح
أقدارنا
أيتها العاشقة الخالقة الأخيرة.

أحوال

كيفكِ يا سلسبيل؟
لا تردي عليَّ لا تردي
أسأل عنك أسأل فحسب
ظلي جميلة كما عرفتكِ الطيور
ورقراقة كما اشتهاك الفرات
الغياب عادة يترك شيئاً خلفه للنسيان
وغيابك يلمّع مكانك في الذكريات
دعي ردك نائماً في الصمت
لعلها القصيدة ذات الأجراس

تستطيع أن تجيب على أسئلة غيابك المر.

***

أنا ظمأ يجلس على الأرصفة
ربّاه الفرات في بيته القديم قبل أن يغادر
ذات حواء امتلأ بالحب إلى أعلى قامته
عشقته بنت من زبدة وخبز وشهوة
في زمن جوع لم يترك أحداً بخير
يبس فيه العشاق كالأشجار المحطوبة
دائخاً كان في صحرائها كجدول صغير
البنت دخلت فراشه خلسة على السطح
كانت سمكة مقشرة من حراشفها
ولم يكن النهر الذي تسبح فيه عادة أسماك
من نور

ومع ذلك
غمرته وهربت قبل أن يطلع الضوء عليها.
***
أنا جوع يتسول المرحبات من كل عابر
مرة ابتسمت لي امرأة لا أعرفها
فتحتْ قلبي وفرشته بالعشب
فتشت لها عن وردة طازجة
مزدحماً كان بالحروب والقتلى
والحديقة صغيرة ولا تتسع لقلبين نازفين
ومع هذا ضعتُ فيها كهرّ منزلي
لهذا سوّرتني بالعشاق والزائرين
لم أجد ابتسامتها معلقة على أي شجرة
أقدامها كانت أسرع من وعل فتي

وابتسامتي أبطأ من صياد أعمى.

***

تعب حارسك أيها الليل
تعب نديمك أيتها الأحلام
سيشد الأغاني بخيط
يدورها ويلقيها إلى هناك
يشد النجوم ويقذفها إلى أسطح المنازل
أراد أن يسحب الفرات من قدميه
خاف على المدن التي في الطريق
وحين تعبت منه الأمكنة
ترك مكانه خالياً
وراح يبحث من جديد
عن رصيف يشبه الوطن.

***

صديقة تتعلم بي القراءة
تكتب سطرين من جسدي على النار
تتفرج وأنا أتجمّر حتى الرماد
صديقة تتعلم بشوقي الكتابة
كتبتني على نهديها وتركتني أذوب كالشمع
صديقة تقول: انتظرني
وحين أنوي تغلق في وجهي الطرقات
صديقة أتعلم معها الخسارة
أكحل الصباح من أجلها بغبش الليل
حتى أستدل على عطر شعرها
لا تفتح شهية حدائقها لي
لا تعلمني الموت

ولا تدلني على النجاة.

***

لتلك البنت البعيدة كالعيد

البنت الوحيدة كبلادي

أعصر قلبي من آخر خفقانه

وأكحّل عينيها بابتسامة زهور مشعّة

أراقص ظلّها النحيل

كما تراقص شمس فيئاً يتكاسل

أمسح الدموع من أعين التماثيل الرخوة

وحين لا يبتسم قلبها الحزين

لا تركض غزلانها معافاة على عشب روحي

أبدل الأمكنة بضحكة عينيها

وأنصّب صرختي شاهدة على قبر الوطن.

***

في الفحص لا تعرف البنت أي أحوالها
تكتب!
المطلوب منها للنجاح أو الرسوب!
حال قلبها ليس على أيّ حال
أحوالها كثيرة لا يستطيع أكبر شاعر
تعدادها
حال وردة يتنقل عطرها من حديقة إلى
شارع
حال عاشقة تركض خلف حرية لا
يشاركها أحد فيها
حال طائر ينزف خارج عشه المحترق
حال بلاد تشاركها السرير والوسادة

مدينة لم ينشف دم أحلامها الغزير
حارات لا تنام ولا تستفيق
حال رغباتها المؤجلة في الزلزال
حال مشردة لا تملك معنى للوطن
تغلق عينيها على أمنية مكسورة الجناح
تفتح قلبها على ألف موعد في السراب.

***

حرائق في الغابات
لا تعرف الأمطار الكسولة أي شيء عنها
تشوي قلوب أخضر الشجر
وتسلق بيض الأنهار وتشرب إكسير
القلوب
حال لا يخفى وحال يفضح دمعة السر

حال تأميم السماوات واعتقال المدى
تمزّقت حمالة صدر كوكبنا الأنثويّ
أيتها المرأة التي لا تبخل
وتشارك برأس مالها من الجمال
لِمَ أخفيتِ نهديك عنّي؟
مازالت القصيدة بحاجة لحليبك الأسمر
كي لا ينسى الإله
قيامتنا التي تتقلّب على نار.

***

حال لا يرضاه أحد
إله على أكتافه نياشين لا تحصى ونجوم
وحوله مهرجون بأسعار بخسة وأحذية
زناديق من كل جنس يملؤون القصور

بالروث
قاطع طرق وحاصد أنفاس
على رأسه تاج موروث من سارق أعظم
مكافأة العالم على المجازر الأخيرة
لا يفهم طفل مثلي غطاه الشيب والبراءة
كيف يصير دم الصغار أرخص من
البصاق؟
«الجنرال الطارئ» يبصق على لحية العالم
وينتفها.
***
ويلعب بالطائرات والبيوت التي تطير بلا
أجنحة
حال يحفر في عيون الأمهات آبار الدمع

ويفجر في حناجر الصغار ما تبقى من الروح والصراخ.

«جنرال طارئ» اسم قصيدة عن توريث الدكتاتور سورية الجميلة لابنه «الأهبل».

منشورة في كتاب «نهر بضفة واحدة».

***

لا تبربشي بحرف عن ثروتك المسروقة
الماء والسماء وقوت الصغار وطين الأرض
عن لحم الأشجار ولحاء الأرواح المسجور
وأنت في زمن الصمت الأممي
الكلام رخيص والصرخة لا تسوى فلساً
«منقوباً»
جليلة أنت وما حالة تقارب ظللكِ

ولا تلحق لغتي بغبار قدميك ولا الأشعار
قدماك صغيرتان وخطوتك واسعة نحو
قلبي
كل حال له حال وأنت الأحوال كلها
وأنا حالي حال جزيرة تغرق بغاباتها
طائر بعيد يلقي السلام على أعشاش فارقها
حال نوارس الكلمات التي بلا أشرعة
حال الجماجم بشروخها والأجساد بعظامها
الناتئة
حال الشرفات بغياب الأقمار المنهوبة
وحال عتمة الفجر الأشقر
من أين جاء كل هذا الليل يا فرات؟
من أين جاء؟

طعنات

في نهاية السباق
لم تكوني بجانبي
عندما أطلق الجميع
على صدر حصاني الخاسر.

***

بعد أن انتهى السباق
من بقي بجانب الحلم القتيل
وهو يزفر أنفاسه الأخيرة؟

***

وردة في الصباح المتقدم

طعنة في الصباح المتأخر
لا يعرف الطعين الفارق بينهما
تعرفين أنت الحزن الأسود من الأبيض
من نظرة حب واحدة
تفرقين بين الشغف وبرودة المشاعر
طعنة في أحلام لم يبقَ فيها دم كاف لتتناسل
طعنة في قشرة الليل الخفيفة
طعنة في الكلام والظلام الكسيح
وردة تطل عليك من الشرفة
وردة وأنت في أول الطريق
وردة وأنت في نهاية الوجع
تستقبلك في العودة كطفلة تنتظر الحلوى
وردة لك بأحمال عبيرها

تشير بأوراقها من خلف ضوء حاد ومنكسر
وردة تتشهى يدك الندية كغيمة بيضاء.

***

صباح مثل قلبك
صباح بحليبه وبطيور سماواته التي لن تقع
صباح بلا طعنات هذه المرة
صباح بثياب الطفولة يذهب إلى المدرسة
صباح بلا كهولة يعود بك فرحة إلى البيت
صباح بلا تفجيرات وبلا دم يصبغ الحيطان
صباح بلا دمع ولا حاجة للخبز والماء
بلا جيران يغادرون ولا أحباب ولا ذكريات
تجرح
صباح يرافقك حتى تعودين بلا طعنة

مفاجئة

صباح يذكرك بقلبك كي لا تنسيه في المسلخ
صباح يرافقك كأنك ربّيتِ شمسه على الشروق
صباح بقبلته الوردية على الشفاه
ابتسامة تسكن وجهك ولا تغادر أبداً.

****

علاقتي مع الأبواب
علاقة غير مستقيمة أبداً
أفتح وتنغلق عليَّ
أغلق حين تشتد الريح
تنفتح عليَّ أبواب جهنم العظمى
علاقة يتساوى فيها الداخل والخارج

تتساوى فيها قصص الحب وسطوة الموت
الطعنات في الظهر مع الطعنات في الصدر
علاقة بالأشياء التي تكرهك وتحتاج إليها
علاقة الأقفال بمفاتيح لا تفهم
علاقة لون عينيها بالغياب
حين أشتهي السهر في فراديس جسدها
وأبقى قروناً بحالها
لا أعرف أين أنا
هكذا تكتمل المأساة
تشتد الحروب بين المفاتيح وأقفال الأبواب
وبعد أن تضيع ثلاثة أرباع عمرك
تكتشف أنك كنت تحاول مع الباب الخطأ.

***

للذاكرة سكين لا تستريح
كلما انكسرت موجة على حجر الحنين
طعنتني بالفرات.

***

طعنة الجمال من يحتملها؟
لو تخلع هذه البنت حذاءها
وتمشي مثل جميع الكائنات
لهرولت أنهار الأرض إلى قدميها.

***

أفرد الخسائر الثمينة بنياشينها
على أرصفة القارات الخمس
أدع الشعوب التي تنام في عسل الصمت
تتقاسم ما تبقى من الهزائم والطعنات

أحصي الحراب الطازجة بشمعها
الطعنات التي لم تذق طعم الدم بعد
أوزع لكل عاشق هزيمة واحدة
لكل طفل جائع حسرة طويلة الأمد
ولكل أم كيس من الدمع وفستان أسود
للوطن ما تبقى من دم لم يقطر من السكّين
ولا أعرف ما سأورثه للريح هادمة
الأعشاش
التي تنطّ على حبال الغسيل في وقت فراغها
والتي من تعبها
لن تشارك في الحروب القادمة.

***

لا تعرف من أين تأتيك الطعنة المباغتة

وحين أحياناً يشيح الصباح وجهه لا تلمه
تتجرح أزهاره وتحزن العصافير والليلك
أو تذبل غيمة في ريعانها ويتأخر المطر
وحين تدير وجوهها عنك الدروب
وينكسر خاطر الأشجار بأوراقها وأغصانها
تلك التي تنتظرك كل يوم على الطريق
الطعنة في الوجه عادة أرحم
تريك وجه القاتل
يقطر عليه دمك
الطعنة العدوة طعنة تتوقعها
وطعنة الصديق لا تشفى منها بسهولة
لا تأسف حين تخترق لحمك الأرضي طعنة
تقويك

وأنت تنزف طيور روحك في الأشراك
لا تكسر زجاج السماء ولا تغيِّر الأبراج
وتعرف الكثير الذي يجب أن لا يكون
أحياناً تكون الطعنة القاتلة
رحيمة أكثر من هذه الحياة المخاتلة.

***

بعد هذا الحبل الطويل من السنين
بعد هذه الأثقال التي تتدلّى من الأيام
بعد هذا الحزن الذي يجتاح كالإعصار
قلوب الناس
بعد هذا السلام الذي ترسله عيناك في كل
خسارة
بعد الأحلام التي لم تترك مكانها ليأس

غاشم

مكان كل طعنة تفتحت وردة أجمل من غيرها

وأنا تعلمت كثيراً

ولم أندم كثيراً

وبحثت عنك في كل مكان

في الأمكنة التي مازالت تصهل فيها الروح

ولم تكن الفصول تقف بالدور خلف بعضها

وأنا كنت أموت كثيراً عند كل رحيل

ولكن الأمل في كل مرة يقرع أجراس القيامة

والقصيدة بقدرتها كانت تعيدني إلى الحياة.

***

كلّ حارة ثدي أمّ هناك
ناشف حلق طفولتي
أقبّل الأصدقاء هنا وأقول: بلادي
أراجع موظف البريد وأقول: بلادي
أكلّم بائعة الدخان
أحدق في جمال عينيها
وأقول: بلادي
أعبر إشارة المرور الحمراء
وأرجف من تكاثر لونها على جسد بلادي
وحين لا يتوقف القصف ولا تنام الطائرات
لشرطيّ السير الغاضب أقول:
خالف هذا الموت السريع
طغى ولم يتوقف حتى الآن في بلادي.

انحناء

بدلاً من كتابة قصيدة خيبات التي تلح عليَّ
منذ أيام..
ولأني اليوم على شفير كآبة عاتية..
ولأن الصباح مرافقي اليومي
لم يرسل أغنية تدلني إلى كلمة سر الحب أو
الفرح..
أنفقت ثروة من الخيبات وكنزاً من الصمت
وكتبت قصيدة بشناشيل وأجراس
إلى امرأة مزدحمة بالعصافير والعافية

والأرق.

***

اعوجاج في عمود ظهر الشعب الفقري
شعب يتعكز على الشهداء وعلى دمه الحار
صورة ظهر شاعر لم ينحنِ من قبل
الديسك اللئيم الذي رافقه أشهراً طوال
اكتشف الطبيب انحناءة في عموده الفقري
رغم أنه لم ينحنِ بحياته لأحد
غير للأمهات والأطفال والعاشقات.

***

أنحني لقوافل الذكريات وهي تعبرني كل يوم
وأحبك كمطر يغسلني كل صباح مثل أم

بيديه

على حجر الشاطئ ورمله يغسلني من

الشيب

يربت على قلبي

ذنوبي وأخطائي ورياحيني التي لم تصلك

ذرة ذرة يغريني أكسجينك المنتشر في حياتي

وأنا العالق في شرك صيادين بلا قلوب

أتنفسك عند كل حالة اختناق

أمد أقدامي على شاطئك البعيد

وأعمد جسدي برقصة موجك المقدس

حتى لا يجف مطرك في صحرائي ويهرب

الغيم

وأموت وحيداً دون أن تنتشلني امرأة

وتكفنني الحدائق بوشاح من عبير
دون أن تتنفسك أوقاتي وتجف يديك في
الفراغ
ودون شمس كسولة في شتاء العمر الطويل.

***

تنحني السماء من أجلك بأنجمها
تنثر أزهارها المضيئة على جبين المساء
مساء لا يعرف طعم سهرك حتى يتندم
حديقة لا تعرف حيرتي بلا ظلك
يرافقني كلامها ويرشدني على مخرج من
الملل
من مكان إلى مكان يرافقني صوتها
وينتقل معي من مقعد إلى مقعد

ولكي أتجاوز القلق
أتحرش بكلاب بلا حبال وأطواق
ويفرحني خيال الابتسامات الخفيف
على شفاه الصبايا والنساء والطيور.

***

كيف ستستقيم انحناءة هذا القلب؟
ما الذي ينقص الولد في أعياد الذاكرة؟
الصغير بلا فستانه المقلم الجديد
الصغير بلا فرح ولا أجراس الأصدقاء
لا يكتمل العيد بلا أحصنة ولا أراجيح
لا تشع الابتسامة كاملة مع حذاء قديم
منذ أول بوسة على شفتي الصغير
تبخر الخجل واتسعت الدنيا

الصغير بلا عيد ولا حلوى
ما الذي ينقص الأعياد كي لا تنحني؟
ما الذي ينقص ظهر الشاعر الحزين كي
يستقيم؟
تنقصه أغنية بطعم الأصدقاء وتلك الأمكنة
ينقصه الفرات المزركش بالأعياد وبفستان
الوطن.

غيابات

رنين أجراس غيابك
أعلى من صوت العقل والحكمة
في غيابك أحسب الفصول على خضرتها
أحسب الليل على لوعة العشاق
وأنت تمعنين في غياب الغياب
لا أعرف كيف أكتم صوت الطفل فيَّ؟!
وصدرك الحليب والدفء والرغبة
أفتش الحارات وأقلب وجوه المارة
ما من شبيه يعبر وما من جسد يشبه الجسد

ما من أغنيات تصير صدى الغياب.

***

في الغياب يتراكم زمن بلا معنى
كل يوم أفلّي صباحها من البكاء
وقبل أن ينتصف الوجع
تستعيد دموعها من جراحنا
بكت في الأمس وحيدة
وصدري وسادة حنونة وذراعاي دفء
العائلة
بكت وكان الفرات بعيداً
لم يسمع النشيج في خواتيمه
ولم يكن الكلام يتسع للمزيد من الرثاء
لم يشغلها الحنين كما ينبغي

قلتُ احلمي عندما يمتد التيه بالمراكب
وعندما تتلمس النوارس رائحة الشواطئ
سافرد الأشرعة من أجلك في كل ريح
وأرسل الأمواج إثركِ
كي لا يتأخر كثيراً عليك صدر لبلاد.

***

أسرى يلمعون ظلالهم في العتمة
أسرى يقيسون الوقت الكسول كل مرّة
على ارتفاع أسوار عالية
ينظرون إلى الحرية من ثقوب أجساد تنزف
والموت يفتش قلوب الناس عن نقطة حياة
الأسرى ينطحون الجدار تلو الجدار
حتى يتناثر تراب الضوء على الوجوه

وتنفتح كوة على اتساعها
في جسد الليل الأصم
وتتوالد شرفات وأمداء وطيور
ويعود بعد عناء إلى رشده القمر.

***

في الغياب أيضاً تتكابر الروح
تقاوم هلاكها وتتماسك كعجينة في النار
لا أعرف ما الاسم الذي يملأ شقوق
المعنى؟!
الغريب والغربة والغربال والغروب
كلها تشير إلى غيابك وأنت تتأرجحين
هناك
الأماكن لا تسمي غيابك ولا الحضور أيضاً

المحطات ليست نهايات الترحال
المحطات ليست مشانق بلاد غادرها أهلها
المحطات لالتقاط الأنفاس واستعادة
اللهاث
المحطات لتبادل قبل الوداع واللقاء
المحطات وجه أمي الغريبة في ترحالها
الأخير
دون وداع جبينها ويديها وعروقها النافرة
دمعتها ونشيجها المكتوم وحسرتها
غصتها وكلام قلبها الواقف في الحلق.

***

نصف حكايا المساء عن غيابك
ثلاثة أرباع ما تناقلته الخسائر

لا تقولي كل شيء للمرايا
دعي شعرك يفصح عن نفسه للهواء
الغطاء الذي تخنقين به حلمه بالطيران
الحياة خارجها تنتظرك كأنك هدايا الطفولة
لا تغلقي عينيك على حلمك الوحيد
دعي طيورها تحلق ورایاته تخفق كقلب
عاتبي كلماتك الخرساء
تنام على شفتيك عندما تلتقيان
قولي له أحبك بعينين مفتوحتين
واسقي زهور القبلات التي تكاد أن تذبل
لا تخبريها عن يده التي امتدّت إلى صدرك
تلمسي مكان أصابعه على الحلمتين في غيابه
ولا تخفي فرحتك أمام الصديقات وعن

المساء.

***

ربع الغياب موت
وثلاثة أرباعه خسائر الأمكنة
أسماؤهم جمر في القلب وفي القصائد
أصدقاء بوجوه مازال أثر قبلاتك عليها
أصدقاء ينتظرون عودتك على أحرّ
الذكريات والشوق
صديقات ينتظرنك قبل أن يستدل الشيب
على القلوب
ينتظرن ورود صباحاتك وزوار الحدائق
الفارغة
يرشرشن عطر الخجل والشوق على المواعيد

الخاسرة
الكلمات ليست محايدة
تحمل وتعلن حتى ما تحاول نسيانه
حين تسرد ما يحصل على سمع الخرافة
تهز أشباحها وتخرج من متاحف التاريخ
لا يصدق الأبالسة ولا الجن ما يسمعون من
أخبار.

***

عميق بئر هذا الغياب
جاعت الطير وتشردت العصافير مع
الصغار
بلادك بسهولها وجبالها وبساتينها
بالمدن العزيزة والقرى بكائناتها

علامات الطفولة وسماواتها وأجنحة تلك الطيور
وخطى القطى الخائف والفخاف التي على حالها
قطط الحارة الشبقة مازالت تموء في شباط
زقزقة عصافير الدوري في كل صباح
الشيوخ والعجائز وعكازات الذكريات الأخيرة
عوالم لا يبتدئ تعدادها ولا ينتهي
ليست الطرقات وليس ما حفر الفرات في الروح
ليست الأشعار التي شربت من ماء يديك
وليست الغيوم التي بللتك مراراً حتى

أسفل القدمين
وليست الشمس التي ترسم ظلك المتحرك
بعناية فائقة
كل شيء ينتظر خطانا المشتاقة هناك
خاسر دربك الذي تنتظرين عليه
خاسر قلبك الذي تنتظرين من أجله
خاسرة الأحلام التي تؤدّي إلى غير تلك
البلاد.

***

غياب لا يعرف معناه سوى المفارقين
والغرباء
غياب يعلق الموتى المتشبثين بصورهم على
جدرانه

لا يأخذون معهم سوى الدموع المنسية في المقل
وحين يتذكرون كم خسروا من صباحات الجمال
يحاولون تدارك الندم السريع على ما فات
ولا يفلحون
هكذا كل دمعة تبحث عن عينها المفقوءة
كل جدار عن سقفه المشطور والمتناثر
كل سماء عن غيومها ونجومها المتهاوية
كل طير عن عشه وغصنه وأجنحته المكسورة
كل قلب عن خفقانه الهارب على سير الأحزان

وعن جفاف الدم الطازج في الأوردة
كل غياب قتل لشيء من الحياة بمعنى ما
وكل حب رتق للمسافات وأجراس
للتذكير بالأمكنة.

***

تنام مرهقاً وتستفيق مرهقاً
هالات سود حول حلمك الوردي القديم
خرائط كابوسيّة تبدل ملامح الحارات
والبيوت
ووجوه من أحببت مشلوحة على مقربة من
الليل
أنت في حالة فقدان يومي وخسارات لا
تتوقف

تدور حول رأسك كنجوم على وشك
السقوط
تصحو وحولك الجثث تستغيث بأعلى
موتها
تنام وكأن أياديهم حبال تلتف حول عنقك
تصالح الأرق وتكتب مراثيك كأنها آخر ما
ستكتب
تصحو وتقطف الأزهار من أجل الموتى
المنسيين
كأن دَيناً قديماً للمقابر عليك
تمشي لا تعرف إلى أي الجهات!
تأخذك الطرقات إلى متاهتها كي لا تعبر
تتعرج كأنك تسافر في جوف ثعبان ثمل

الحافلات والدراجات الهوائية تمر من
خلالك
لا ظل لك وكأنك أجمل الأشباح وآخرها
بذهولك الفريد ونومك المتقطع وكوابيسك
تعتذر من الصغار على إقلاق طفولتهم
الكثير منهم يحتجون على قسوة النوم
لم يكن الموت مريحاً أبداً
بلا أصوات الأمهات ولا الأحلام
تحت أطنان من الحجارة والتراب!.

***

لا أعرف ما أسمي فداحة هذا الغياب
غيابكِ أكبر من الخسارات وأوجع من
الحنين

أغلقي باب الذكريات التي تجمعنا
وامسحي الصور التي تتبادلها عنك الفصول
لا تتركي لك طيراً في السماء أو على شجر
لا تتركي خطوات طفولتي مرسومة على
الشواطئ
أثر الماء وشم على جسد الصغير
طعم المشمش ونكهة التوت
أوقفي الفرات عن الجريان في الروح لو
استطعتِ
أمواجه تجري بين يديك
حاسبي على قلبك من الغرق
دوني خطواتك أينما تشائين
على زبد الكلام

ستمحوه أية موجة رخوة
وعلى قلب بلاد تسكنك
لن تمحوه أعتى العواصف.

***

أيها الشاعر الأعزل الخاسر
كان فصل أحلامك من بين جميع الفصول
جارحاً أكثر من المجاعات والحروب
كيف ستجمع ما نثرت من بذار الحب في
الأرض؟
وتعيد زرعها في تربة أخرى من جديد
بخسارة واحدة أخيرة تحاول اختصار
الكارثة
كيف تجرأت على كتابة كل هذا الغياب؟!

من ستذكر ومن ستنسى؟
لا تتسع ملاحم لصرخة طفل يتناثر جسده
في العراء
طفلة تدفن حية مع جوعها وعطشها
ولعبتها
من سيعينك على لملمة وجوههم من
الغبش؟
كيف سترتّب أولويّات المراثي؟
ماذا ستقول للموت بكل جبروته؟
وهو يأخذهم أمام عينيك واحدة واحدة
كيف ستمزج بين الكلمات والدم والدمع؟
كيف ستعجن المراثي بالزغاريد والفرح؟
كيف ستأتي على الخاتمة؟

وأنت لم تُحصِ جراح ما تبقى من قلبك بعد
شهقة شهقة ستفاجئك الخسارات بآخر
الشهود
وطعنة طعنة ستتعلّم من النزيف أجمل
الشروق.

بحث

بحثتُ عن عطركِ
فلا أجد سوى هواء مثقوب بالانتظار
عن شعرك
فلا أجد سوى ظلال اللوعة والاشتياق
عن عينيك
تغادرني موجة الفرات حين أتعب
وتنفق على شاطئ غربتها البعيد.

***

ذات مكان

كان بيننا خطوتان وشمس فقيرة
شوق على أجمل وجوهه يتقلى
الياسمين المحتار عنك يبحث معي
يطيّر عطره في الشارع وينتظر
الوقت بطيئاً يمر وأنت بلا ظل ولا أثر
كلامك عسلاً كان والوقت نحل يأكل ما
جنيت
عريشة موعدك لا يقاربها الحمام
المكان يصبح أكثر غربة على الغريب
الطقس بارد بعض الشيء
والقلب أكثر دفئاً من لوعة الانتظار.

داريا

استراحة بين حربين

- صباح عليكِ أينما تكونين
- أختنق وداريا تودع آخر أبنائها
- لا تحزني داريا ليست آخر القناديل
- وداريا ليست آخر المناديل تلوّح بالدمع
- داريا صرخة الثبات الطويلة والدم

صرخة حصار يكشّر عن أنيابه الماء والحجر

يحتسي ماء يديك بوروده الصباح

صباح قلبك هو الصباح

صباح قهوتك مرة كالزمان
عندما تغيبين
تترك نكهة بنّها على شفتيك
أسمع صوتك مخنوقاً
وقلبك يتلوّى في مرارة الغياب.

***

داريا استراحة بين حربين
ما تعلمه داريا وهي ترفع راية شهدائها
لا يتوقف أيُّ شيء من أجل أيّ شيء
في لحظة تشعر كأنّ كل شيء انتهى
هذه لحظة ضعفك التي قد تكتشفها لاحقاً
تعيشها للمرة الأولى ولا تعرف خطورتها
هزيمتك سرّيّة وأنت تضحك في العلن

وحدها الحياة تقرر عنك ذلك
إذا كانت مشيئتك خرساء
هي التي تقرر عنك ما يجب أن تقوم به
بنفسك
تقرر من يقف ومن يمشي ومن يتحطم
هذ الجمجمة التي تحوي دماغك
ليست صندوقاً لتجميع الفضلات
إذا كانت الصروف قررت كيف تكون
حياتك
فقرر أنت كيف تعيش ومن أجل ولماذا
ستموت.

***

استراحة بين حربين

حرب على جميع الجهات
حرب بين نفسك ونفسك
حرب لن تنجو منها بسهولة كما تعتقد
خضها وأنت تنثر أجمل بذاراك
تودع داريا وتغادر
كأنك تودع آخر الخسارات.

***

لا تحملي همَّ خسارة عابرة
استراحة بين حرب وقبلة
بين طعنة قديمة في جسد الغريب
وسكّين المسافات الشاطرة
لن أرتجي من وجهك أكثر مما يمنحني المطر
من جسدك أكثر مما يتكرّم

حقل قمحك الكريم
من صدرك أكثر مما تمنح رغبة نهديك
للعاشق.

***

ـ داريا نزيف وقلبي لن يحتمل المزيد
أهرب من الموت إلى الشعر
سأحاول أن لا أشتاقك أكثر
والريح تعصف بك وبالأمكنة
ـ اشتقني بقدر ما تستطيع
أنا هنا وحيدة كمدينة مستباحة
أودع الأصدقاء وأستقبل الظلال والطيوف
داريا فارغة وأريد أن تمتلئ بأنفاسكَ
وبالأمل

ليست مدينة بلا سماء ولا عصافير
ليست خاصرة رخوة في حصار الجوع
والموت
جسدها فصيح كتحية في الصباح
وروحها لعنة الحياة على الطاغية.

***

داريا الأبواب المفتوحة على وطن مكسور
لا تكفيها أقفال الأمان كلها
من أين تخرج ستصل إلى حتفك سالماً
لم تكن المفاتيح تكفي لإغلاق هاوية الموت
خلفك
ولم يكن النزوح سلّم إنقاذك العالي
كلُّ الأبواب مفتوحة على زمن معطوب

فلا تتردد خذ جهتك إلى منتهاها
ليس هناك من يجرؤ على تسمية الحياة دونك
ومن ينادي الحرية بلا وردتك باسمها
الفصيح: يا حرية
هناك من يكذب ويسمي الثورة حرباً
والحرب باردة تدور بين أجساد الضحايا
وحرب سلمية لا تقتل
تباعد فقط بين مقابر القتلى المتشابهين
حرب لا تشبه أي جريمة يعرفها الله
وساخنة يخرج بخار جهنمها من خياشيم
الأرواح.

***

لا يتوقف أي شيء من أجل لا شيء

في الحصار صار الصغار كقطط الشوارع
الجائعة
الأجساد ناشفة والأعين غائرة والعظام
مرئية
في الهياكل الشفّافة
وفي أماكن أخرى
تمضي الحياة على منوالها المعتاد
كأنك لم تسفّ التراب وتحلب غيماتك إلى
آخرها
الصورة معتمة بفعل عطب في ضوء
الأرواح الخارجي
هي حربك التي تقف على رأس قتلاها
الطيور

هي رسم بالدم الحر على تاريخ معتم
كل الأناشيد لا تكفي لوجبة مديح واحدة
والحياة مقسومة بين جثتين تتضوران في
الحصار
استرح هي حربهم التي تمشي خلفك ولا
تنكرها
تنفس وتزود بما يكفيك لما تبقى من العيش
استرح قليلاً فما زال الدرب طويلاً إلى
الحرية.

الفراشة تحت القصف

لا تعيري بالاً للفصول
أيتها الفراشة المجنونة
أينما تطيرين تتلوّن السماوات بكِ
أينما يستريح جناحاك يخضر الشجر
وأينما تتجه خطواتك يتبعك الربيع.

***

أيتها الفراشة البعيدة عني وعن الفصول
كم يتشابه عليَّ الشوق عندما يستغيث بك
المكان؟!

أعيد الأشرعة إلى المراكب التي بلا بحّارة
ولا ريح
أنتظر أن تأخذني نسمة فراتية بطريقها إلى
المجهول
تفرد لوعتي قصيدة طويلة على ورق الجرائد
حتى أشم عطر نهديك على الزهور فأقول
الربيع
أشم رائحة الحريق في قيالة «الدير»
وعلى السنابل فأقول صيف شفتيك الحارق
أشم رائحة استغاثة الأمهات فأقول
الخريف
وفي نهاية الطريق إلى شتاء الشوق
تتحول الفصول الحنونة جميعها

إلى بيت لكِ

ويستدير ويتكامل الزمان.

***

أيتها الفراشة المجنونة

أكاد أشتاقك ولم يأتِ الربيع

لا تنتظري أن تخربط الفصول وأستدل

عليك بنفسي

هذا ربيع مازح الذي غادر قبل أن يدلني

على السبيل

والغيوم نصبت خيامها المائية على سفوح

الهلاك

لا تتفاجئي إذا تزوج الثعلب بأنثى الغزال

اغتصاب مبارك قبل أوان الولادة بقليل

زواجها باركته كل مومس لم يتح لها الزواج
والكل يعرف أنك فاصلة بين جرحين
أنت طعم الخبز الساخن في الصباح
وثروة العسل في حاكورة فلاح فقير
تعلّمت منه أن لا أضيع دربي إليكِ
ولكن حين تتكاسل القصيدة
أشدّ الأجراس حول خصر الفراشة حين
ترقص
حتى لا يستمر الموتى في السبات.

صدر للمؤلف

1 ـ وعول الدم
2 ـ بصمات جديدة لأصابع المطر
3 ـ لا يكفي الذي يكفي
4 ـ نهر بضفة واحدة
5 ـ لم تأت الطيور كما وعدتك
6 ـ في الهواء الطلق
7 ـ قيامة الدم السوري
8 ـ أزهار القيامة
9 ـ كتاب النشور
10 ـ مزامير العشق والثورة
تفتح فل في ليل شعرها، مختارات بالألماني.

الفهرس

- عطش يكذّب الأنهار 7
- جوع أنيق يرتدي أرواحاً من عظام 15
- تردد 27
- متاهات 33
- لكِ شرفة في الكلام 37
- صباح صالح للقسمة على غريبين 45
- ما الذي ينقص هذه القصيدة؟ 53
- لو أني أتنبأ بهذا 63
- رائحة الشجرة تتحول إلى كتاب 69
- حارسة الليل 77
- ألواح غير مسمارية 81
- أحوال 99
- طعنات 111

- انحناء 123
- غيابات 129
- بحث 147
- داريا 149
- الفراشة تحت القصف 159